

٢ - شعر علي بن أبي طالب

للأستاذ السيد يعقوب بكر

على أننا وقد ذكرنا أقوال بعض المؤيدين بحج أن نمرج
على أحد المعارضين وهو الأب لامانس فتناقش مقالته ونتقصها
ليتم لنا بذلك وجه البرهان على الرأي الذي رأيناه .

فقد كان أكرم في كتابه *Fâtima et les Filles de Mahomet* (ص ٥٨) أن علياً كان شاعراً ، واستشهد على ذلك
بما ذكر في الأغاني (ج ٤ ص ١٣٧ ط دار الكتب) من أنه
« كان بهجور رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش :
عبد الله بن الزبيري ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ،
وعمر بن العاصي ؛ فقال قائل لعل بن أبي طالب رضوان الله عليه :
أهجع عنا القوم الذين قد هجونا ؟ فقال على رضي الله عنه : إن
أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت ؛ فقال رجل :
يا رسول الله ، إنذن لعل كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا ؛
فقال : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » .

ثم إن المستشرق الإيطالي الدكتور *Georgio Levi della Vida* عارض الأب لامانس في رأيه هذا في بحث نشره بمجلة
Rivisti delgi Studi Orientali (مجلد ٤ ص ٥٣٦-٥٤٧) .
فقد ذهب إلى أن معنى النص المذكور في الأغاني هو أن محمداً
رأى أن هجاء قرشي كمل لقريش ليس من الأمور التي يتطلبها
الهجاء ليكون نافذاً لا دعماً مؤثراً ، فإن هجاء غير القرشي لقريش
يكون شديداً عليها ذا وقع كوقع السهام أو أشد . واستدل هذا
المستشرق الإيطالي على ما ذهب إليه في هذا النص بأن الشعراء
الذين كانوا يناخون عن الرسول ودعوته ويدفون عنه عادة
شعراء قريش كانوا كلهم من المدينة أي من الأنصار مثل :
حسان بن ثابت وكعب بن مالك^(١) .

فردّ عليه الأب لامانس ردّاً طويلاً تجده في مجلة :
Mélanges de la Faculté orientale de Beyrouth (مجلد ٧
سنة ١٩٢١ ، ص ٣١١-٣٢٠) ، وكذلك في أول كتابه :
Etudes sur le Siècle des Omayyades (ص ١-٧) .
ونحن سنقتض هنا هذا الرد ؛ ولكننا قبل هذا نورد خلاصة
(١) هذه المعلومات مستناة من لامانس في رده على المستشرق الإيطالي

كلام قدمه بين يدي رده ونقول رأينا فيه ، وذلك لأنه يتصل
بموضوعنا من قريب

يبدأ الأب لامانس كلامه هذا بأن يقول : إن مكة لم تنجب
قبل الهجرة أي شاعر ملحوظ المكانة ذائع الصيت ، وإن هذه
الحقيقة تقوم دليلاً على زيف ما في سيرة ابن هشام من أشعار
كثيرة ، كهذه الأشعار المنسوبة إلى عبد المطلب جد علي بن
أبي طالب وإلى أبي طالب أبيه ثم إلى علي نفسه

ثم يقول بعد ذلك إن الشعراء كانوا في الجاهلية الحكماء
وأصحاب الرأي ، وإن الشعر كان فيها من الصفات اللازمة للرجل
الكامل حتى يدعى كاملاً ، وإنه قيل على هذا الأساس إن الخلفاء
الأربعة الراشدين كانوا شعراء أو كانوا على الأقل أصحاب علم
بالشعر العربي القديم . ولقد عني أهل السنة بالنص على علم عمر
الواسع بالشعر ، وكان عمر منافساً لعل ومنافساً له ، فكان أن
قال الشيعة بعلم علي بالشعر وحاولوا تصويره لنا في مستوى عال جداً
أو على الأقل في مستوى مساو لمستوى منافسه الخليفة الثاني

ولقد أظهر على أثناء حياته السياسية جهلاً تاماً بأساليب
السياسة أو قل بأساليب الحياة ، وجاء في الحديث وصفه بأنه
محدود ، ووصفه معاصروه غير التثمين له بأنه تلعب

وعلى الرغم من ذلك كله ، فإن الشيعة لم يدخروا جهداً
في إطرء علم علي . ولقد كان أهل المنة يمجدون عمر ويرون
فيه الرجل المطلق ، والنعم العبقري لعمل محمد ، والخليفة الذي
لا تأخذه الأحداث على غرة ؛ ولذلك وجدنا الشيعة يصورون
بطلمهم مخرجاً لعمر من حيرته وحرَج موقفه في الوقت المناسب
بمحصف رأيه وصادق نظره . وكان الشيعة يدّعون أن الله حبا
عليّاً بتسعة أعشار العلم الإنساني ، وقد بشوا هذا الادعاء
في حديث وضعوه ، وادعوا أيضاً أشياء أكثر من هذا

هذه خلاصة الكلام الذي قاله لامانس قبل رده على المستشرق
الإيطالي ؛ ورأينا فيه أنه كلام متهاقت لا يستند أوله آخره
ولا آخره أوله ، ونبين هذا فيما يلي :

١ - يشك لامانس في الشعر المنسوب إلى علي في سيرة
ابن هشام لما هو معروف من قلة شعراء مكة قبل الهجرة ؛ ونحن
إن قبلنا هذا الشك ، فإننا لا تقبل الأساس الذي بُني عليه ؛
وذلك لأننا نعرف أن عليّاً نشأ بنشأة الإسلام وترعرع في ظله
فلم يكن وليد الجاهلية . وإنما كان وليد الإسلام . وعلى ذلك

وأخيراً ينهى لامانس رده بأن يقول إن أى مستشرق لا يمكنه قبول الأشعار المنسوبة إلى علي ، وإن الأقدمين أنفسهم أحسوا بانتحال هذه الأشعار أو خامسهم الشك فيها ، ومنهم ابن هشام ويونس بن حبيب .

هذه خلاصة رد لامانس ، ونحن نرد على هذا الرد فيما يلي :

١ - صحيح أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون الدار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه ، ولكن لا يمكن أن تشير إلى ذلك إذا كان الدار حول فن من فنون الشعر كالهجاء وحده أو المدح وحده ، فإنها تشير حينئذ إلى عجز من تقال فيه عن هذا الفن وحده دون سواء . وهذه هي الحال بالضبط في القصة التي يرويها أبو الفرج ، فإن رجلاً سأل الرسول أن يأذن لى كي يهجو قريباً فقال له الرسول : « ليس هناك » أو « ليس عنده ذلك » أى ليس هو بالقادر على الهجاء ويؤيد رأينا هذا أننا لا نجد في الصحيح من شعر على يتكأ واحداً في الهجاء

ثم إنه لو لم يكن على شاعراً حقاً لما سأل هذا الرجل الرسول أن يأذن لى بهجاء قريب ، لأن سؤاله هذا مبنى على علمه بأن علياً شاعر قادر على نظم القصيد .

٢ - إذا كان بعض الأقدمين شك في الأشعار المنسوبة إلى علي ، فليس يمكن أن يكون هذا الشك حجة للامانس ، لأن بعض الأقدمين أيضاً قال بأن علياً كان من الشعراء كما سبق أن بينا

فعلماً إذن كان شاعراً ، ولكن لا يمكن القول بأنه كان مكثرأ ، فهو كان في أغلب الظن مُقلأ ، بدليل أنه لم يرو له شعر كثير في المراجع العربية المعتمدة ؛ ولكننا على كل حال لا نسلم بأنه لم يقل غير بيتين كما يذكر ياقوت فيما سبق أن نقلناه عنه وكما يذكر السيوطي فيما سبق أن نقلناه عنه كذلك . ونحن لا نسلم بهذا لأن المراجع العربية المعتمدة روت لنا أكثر من بيتين لى .

السير يعقوب بك

(لبحث بقية أخيرة)

حاشية : وجد في النقال السابق بعض تصحيقات دونك تصويبها مرتبة : في حاجة إلى شيء بسند ذلك : ... من ذلك . السيوطي . شرح شواهد الحنفى : ... المعنى . المطبعة البهية : ... البهية ، وكان مجدداً قال له : وكان مجوداً ما قال . كعرب : كعرب . خبروا . ألا فرار أن لا فرار ، بقر هذا : بحقه هذا

فإذا شككنا في الشعر المنسوب إليه في سيرة ابن هشام ، ثم ألا يكون شكنا مبنياً على هذا الأساس الذى بنى لامانس عليه شكه ، وإنما لزم أن يكون مبنياً على أساس آخر ، كأن يكون مبنياً مثلاً على أن ابن إسحق الذى يروى عنه ابن هشام ممن لا يوثق بروايته للأشعار ، أو يعتمد عليها

٢ - يرى لامانس أن الخلفاء الأربعة الراشدين إنما زعم أنهم شعراء ، أو - على الأقل - أصحاب علم بالشعر ، لأن الشعر كان في الجاهلية من مستلزمات الكمال ؛ وهذا رأى لا أساس له ، لأن الحياة العربية اختلفت مُثلها في الإسلام عنها في الجاهلية ، فأصبح العرب لا ينظرون إلى الشعر كما كانوا ينظرون إليه من قبل ، وبعد أن كان الشعر من مستلزمات الكمال ، أصبح وقد تخرج من قوله كثير من الشعراء مثل لبيد ٣ - مهما قيل من أن الشيعة أضفوا على أتوابعهم الكمال والحكمة وقوة العقل والقدرة على حل المشكلات ، فلما نستطيع أن ننفي عن علي صفات الرجل العاقل ، إذ يكفيهِ ليكون كذلك أن يربى في جبر محمد ويشب في كنف الإسلام . فحالة لامانس بتجريد من العقل الحصيف محاولة غير ناجحة ، فضلاً عن أن النصوص التي يستند إليها في محاولته هذه مما لم تثبت صحتها

بعد هذا التفتيد لكلام لامانس ، نمرج على رده على المستشرق الإيطالي ، فنأتى بخلاصته ثم نقول رأينا فيه

يقول لامانس إن العبارة التي وردت في الأغاني وهي « ليس هناك » أو ليس عنده ذلك « مكونة من جزأين ، فالجزء الأخير منها هو الأدل على المعنى والأعمق في الأثر ، وليس الجزء الأول منها إلا مؤكداً له ومقوياً . وهذا الجزء الأول أوجز وأكثر إيماناً في البداوة من الجزء الثاني

وبعد ذلك يورد لامانس العبارة التي وردت في أسد الغابة وهي « إن علياً ليس عنده ما يراد من ذلك » ، ويبين كيف أنها تؤكد ما فهمه هو من عبارة الأغاني

ثم يأخذ في محاولة تحديد معنى عبارة « ليس هناك » المرادة لعبارة « ليس عنده ذلك » ؛ وذلك بالرجوع إلى استعمالها الواردة فيها يرويه صاحب الأغاني : وقد استخلص من هذه الاستعمالات أن عبارة « ليس هناك » تشير حين يكون المقار حول الشعر إلى عجز من تقال فيه عن قول الشعر ونظمه